

## أضواء البيان

@ 48 @ قَرَيْنُ { يقول : أئنك لمن المصدقين ، إلى قوله تعالى : { فَاطَّالَعَ  
فَرَّاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَتَرْدِينَ \* وَلَوْلَا  
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } . ! 7 . ! 7  
معنى هذه الآية الكريمة ظاهر ، وهو أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم شكَا إلى ربِّه هجر قومه  
، وهم كفَّار قريش لهذا القراءان العظيم ، أي : تركهم لتصديقه ، والعمل به ، وهذه شكوى  
عظيمة ، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القراءان العظيم ، فلم يعمل بما فيه من الحلال  
والحرام والآداب والمكارم ، ولم يعتقد ما فيه من العقائد ، ويعتبر بما فيه من الزواجر  
والقصص والأمثال . .

واعلم أن السبكي قال إنه استنبط من هذه الآية الكريمة من سورة ( الفرقان ) مسألة  
أصولية ، وهي أن الكف عن الفعل فعل . والمراد بالكف الترك ، قال في طبقاته : لقد وقفت  
على ثلاثة أدلَّة تدلُّ على أن الكفَّ فعل لم أرَ أحدًا عثر عليها . .

أحدها : قوله تعالى : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ \* رَبِّ إِنِّي قَوْمِي  
اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } ، فإن الأخذ التناول والمهجور المتروك ،  
فصار المعنى تناولوه متروكًا ، أي : فعلوا تركه ، انتهى محل الغرض منه بواسطة نقل صاحب  
( نشر البنود ، شرح مراقي السعود ) ، في الكلام على قوله : أحدها : قوله تعالى : {  
وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ \* رَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ  
مَهْجُورًا } ، فإن الأخذ التناول والمهجور المتروك ، فصار المعنى تناولوه متروكًا ، أي  
: فعلوا تركه ، انتهى محل الغرض منه بواسطة نقل صاحب ( نشر البنود ، شرح مراقي السعود  
( ، في الكلام على قوله : % ( فكفَّنا بالنهي مطلوب النبي % قال مقيِّده عفا الله عنه  
وغفر له : استنباط السبكي من هذه الآية أن الكفَّ فعل وتفسيره لها بما يدلُّ على ذلك ، لم

يظهر لي كل الظهور ، ولكن هذا المعنى الذي زعم أن هذه الآية الكريمة دلَّت عليه ، وهو  
كون الكفَّ فعلاً دلَّت عليه آيتان كريمتان من سورة ( المائدة ) ، دلالة واضحة لا لبس فيها  
، ولا نزاع . فعلى تقدير صحة ما فهمه السبكي من آية ( الفرقان ) هذه ، فإنه قد بيَّنته  
بإيضاح الآيتان المذكورتان من سورة ( المائدة ) . أمَّا الأولى منهما ، فهي قوله تعالى :

{ وَلَوْلَا يَنْذَهُاهُمُْ الرَّبُّ لَنَبِيُّونَ وَالْآلِهَةُ عَن قَوْلِهِمُْ الْإِثْمَ

وَأَكَلِهِمُْ السُّحُوتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَمْنَعُونَ } ( 5 / 36 ) ، فترك

الربانيين والأخبار نهيمهم عن قول الإثم وأكل السحت سمَّاه الله جلَّ وعلا في هذه الآية

الكريمة منعاً في قوله : { لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَمْشِعُونَ } ، أي : وهو تركهم  
النهي المذكور ، والصنع أخص من مطلق الفعل ، فصراحة